حالة فاحصة: تحليل التربية السينمائية في إسرائيل 1992-2019 وفق نموذج المستويات الخمسة للتعليم بالأسلوب الـپـيداچـوچـيّ النشاطيّ والدفع قُدمًا بالمواطنة الفعّالة[1]

كيرن كيطكو أيالي

اختبار منهاج دراسات السينما في ضوء نموذج المستويات الخمسة لتطبيق پـيداچـوچـيا نشاطيّة والدفع قُدمًا بمواطنة فعّالة يقدّم تحليلًا للتربية السينمائية من سنوات الـ 90 من القرن الـ 20، من خلال مصطلح حديث تمّ بحثه في القرن الـ 21. وبدون معرفة المصطلح وبلا وعي، تمّت ملاءمة مسار المنهاج، المضامين، الوسيلة، والرؤية لنظرية حديثة لـپـيداچـوچـيا نشاطيّة.

* * *

عام 1989 اجتمعت لجنة مهْنية لكتابة منهاج التعليم لموضوع وسائل الإعلام، الذي كانت دراسات السينما جزءًا منه. وكمرحلة سابقة لاختبار تطبيق نموذج المستويات الخمسة، يمكن أن نلاحظ – حتّى من بداية الطريق – أنّه تمّ اختيار رؤية اجتماعية لريادة الرؤية الكونيّة لدراسات السينما في إسرائيل، حيث اختير لمنهاج التعليم الأسلوب الإنسانيّ كقيمة رائدة.

السينما، كجزء من وسائل الإعلام، تشكّل، بشكل أساسيّ، أداة من المفروض أن تحافظ على الديمقراطية، ولذلك، إنّ تأسيسها هو مجال نقديّ وذو صلة وثيقة بالوقائع والأحداث الراهنة، وبثقافة الجماهير. هدفها أن تكون "أداة لخزن ونقل المعلومات والقيم في المجتمع" (منهاج التعليم 1992، ص. 11). منهاج دراسات السينما، في إطار صلته بالرؤية الكونيّة الليبرالية التعدّدية، دفع قُدمًا بالتوجّه الكُلّانيّ للسلوك البشريّ، وقد جاءت مضامينه لتساعد الطلّاب على تعميق رؤيتهم لأنفسهم وللعالم المحيط بهم، كرافعة لزيادة المشاركة والمسؤولية الاجتماعية (منهاج التعليم 1992-1993، ص. 4-7).

الإطار الرسميّ لتعليم السينما، الامتحانات، والتوجّه إلى المعلّمات والمعلّمين الذين يعلّمون كانت تعاونية، وقد أتاحت هذه جميعها مكانًا واسعًا للمعلّمين لأن يختاروا ويحدّدوا مناهج التعليم المدرسية، وفق رؤيتهم الكونيّة الإنسانية الواسعة. العملية الحوارية التي نشأت بين طواقم التعليم وبين المفتّشة على تعليم السينما في وزارة التربية والتعليم شكّلت هي، أيضًا، نَمْذَجة للمعلّمين لأسلوب السلوك مع طلّابهم بصورة إنسانية وحوارية، من خلال التأكيد على التعلّم المشترك وإيجاد طرق مبتكرة غير مقرَّرة في كتب التدريس للتعليم في الصفّ (لقاء مع بالين، 22.7.20).

يمكننا القول إنّ نموذج "الزهرة" الذي استُخدم لتحليل أفلام في الصفّ وفق خمسة أسئلة، كخمس بَتلات،[2] يشير إلى الوزن الكبير الذي يُعطى لمعانٍ بشرية إنسانية نابعة من مشاهدة الأفلام. دور المعلّم – حسَب هذا التوجّه – هو تعليم الطالبات والطلّاب التطلّع إلى ملاحظة الرسائل الظاهرة والخفيّة في الأفلام، وذلك لهدف التوصّل إلى استنتاجات واتّخاذ موقف بالنسبة إلى أنفسهم وإلى المجتمع الإنسانيّ الذي يعيشون فيه. يمكننا، إذًا، أن نرى أنّ منهاج التعليم لتعليم السينما في إسرائيل، ومنذ مراحله الأولى، قبل 30 سنة، تبلور على أساس رؤية اجتماعية ورؤية كونيّة اجتماعية-عملية بالنسبة إلى المعلّمين والمتعلّمين، بروح التربية الإنسانية.

المستوى 1 بيئة تعلّمية ممكّنة للدفع قُدمًا بالمواطنة الفعّالة والنشاطيّة

المستوى الأوّل في النموذج هو بناء بيئة ممكّنة، سواء أكان ذلك ماديًّا أم في مستوى العلاقات الشخصية. فمن الناحية المادّية، انعكست البيئة الممكّنة في دراسات السينما في setting صفّ مع شاشة سينما يمكن تعتيمها بُغية خلق جوّ حميميّ – قاعدة تكسر المبنى الكلاسيكيّ للصفّ العاديّ. عُلّقت على الجدران لوحات من أفلام اختارها المعلّمون، وفروع سينما كثيرة أبقت جدارًا خُصّص ليُتيح مكانًا للتعبير الشخصيّ للطالبات والطلّاب، وغالبًا ما امتلأ برسوم چـرافيتي تتكاتب مع السينما. من ناحية البيئة الممكّنة في مستوى العلاقات الشخصية، تطرّق منهاج التعليم (1992، ص. 7) إلى الحاجة إلى "عملية تعليم متكافئ، عملية التعلّمُ فيها هو ثمرة حوار متحرّك بين المعلّمين والطلّاب"، من خلال التأكيد على تطوير التسامح لأسلوب التعبير الخاصّ للآخر. وبعد عَقدين، في تعميم المفتّش مركّز الموضوع لمنهاج التعليم لسنة 2012، لا تزال هذه المبادئ الخاصّة بمنهاج التعليم على حالها: "من المفروض أن يكون المعلّمون موجّهين للدفع قُدمًا بتعلّم ذي معنًى من خلال تهيئة بيئة تعلّم توفّر تجربة انطباعية من المشاركة، سواء أكان ذلك من ناحية العملية نفسها أم من ناحية المنتَج. يجب تحريك وإرشاد

---

[1] هذا الموجز مبنيّ على أساس مقال لكيرن كيطكو أيالي وموشطه بوكوش منشور بالإنـچـليزية: Ketko, A. K., & Bocoş, M. (2020). Practical Five-Level Model for Activist Pedagogy and Promoting Active Citizenship: Film Study in Israel as a Test Case. *Educatia 21*(19), 74-85 (التحرير: د. سولي ڤـيرد، قسم التربية والتعليم في جمعية حقوق المواطن).

[2] كلر، هـ. (1994). לדעת לצפות, "מעלות". ص. 216-209.

المتعلّمين في الموقع، تجب المعالجة، يجب النقد وإنتاج المعرفة، يجب التفكير، السؤال، ويجب أن تكونوا شركاء في عملية التعلّم".[3]

المستوى 2 عشر دقائق لافتتاح الدرس – كشف\حثّ على الموضوع الذي يدفع قُدمًا بالمواطنة الفعّالة والنشاطيّة

المستوى الثاني في النموذج، عشر دقائق من الانكشاف على موضوع اجتماعيّ، تجد تعبيرها في منهاج التعليم (1992) الذي كُتب فيه أنّ تعليم الإعلام يتناول العالم ذا الصلة بالطالبات والطلّاب، عالمهم التجريبيّ، الراهن، الثقافيّ، والقِيَميّ. "يجب أن يُبذل جهد في الصفّ لدمج مضامين إعلامية ذات صلة بالطلّاب" (ص. 7). جاء الكثير من معلّمي السينما من مجال صناعة السينما والتلفزيون، وكونهم كذلك فقد كان بمقدورهم أن يفتتحوا الدروس بمشاركة تجارب انطباعية مختلفة من الميدان. لقد شجّعت هذه التجارب الانطباعية، أحيانًا، الحوار على نزاعات وصراعات حقيقية وذات صلة بالفِتيان. وكذلك توصيات المشاهدة أو النقد في افتتاح الدرس استخدمها المعلّمون والمعلّمات للانكشاف على مواضيع اجتماعية مختلفة.

المستوى 3 ترسيخ موضوع يدفع قُدمًا بالمواطنة الفعّالة والنشاطيّة في مخطّط الدرس

تدعو دروس السينما إلى الاشتغال بمشاهدة الأفلام التي تتكاتب مع مواضيع اجتماعية ونشاطيّة. منهاج التعليم مرن، وفي إمكان المعلّمين أن يختاروا المضامين للتعليم من خلال سلّة إمكانيّات متنوّعة تضمّ مواضيع من قبيل السينما، المجتمع، والسياسة، الوثائقيّة-النشاطيّة، السينما الإسرائيلية، والاشتغال بالصراعات في المجتمع الإسرائيليّ. من بين النظريات المختارة للتعليم يمكن اختيار نظريّات سينمائية وجِذْر، نظريّات ماركسية، وماركسية جديدة، ڤيديو، نشاطيّة، وسينما وثائقية اجتماعية. طُلب من المعلّمين خلال الدروس أن يعلّموا بطريقة تمكّن الطالبات والطلّاب من البحث، الاحتجاج، والتشكيك، واستخدام السينما كحقل خصب للتعلّم الحديث (تعميم المفتّش مركّز الموضوع لتعليم السينما، 2018). طرق التقييم مستقلّة هي أيضًا، ويبني المعلّمون بأنفسهم امتحان التوجيهيّ [البـچـروت] بما يتلاءم مع منهاج التعليم الخاصّ الذي اختاروا تدريسه. بهذا الأسلوب تمّ تعظيم المعلّمات والمعلّمين من بداية الطريق، حيث تأسّست الدروس على مضامين ذات صلة برؤيتهم الاجتماعية، ذات صلة بنواة منهاج التعليم الرسميّ، وبالحوار مع الطلّاب في الصفّ.

المستوى 4 التعلّم من خلال التجريب الذي يشجّع المواطنة الفعّالة والنشاطيّة

كانت المضامين العملية التجريبية منذ بداية التربية السينمائية جزءًا من معالم الطريق خلال الدراسة. يجرّب الطالبات والطلّاب عملية الإبداع السينمائيّ والتلفزيونيّ في إطار مشاريع شخصية واجتماعية، انطلاقًا من رؤية كونيّة خاصّة بتعليم السينما تستند إلى قواعد الإنسانية، النقدية، والصِلَويّة. إنّهم يصوّرون في المحيط القريب وفي مجتمعهم، ويطرحون صراعات شخصية أو اجتماعية من أجل إنتاج دراما أو تحقيق إعلاميّ مثير للاهتمام. يتناول إنتاج الأفلام – في كثير من الحالات – مواضيع من قبيل تحقيق الأحلام، حالات الإدمان، الأُسر الصعبة، الاحتياجات الخاصّة، ومواضيع أخرى تُشغل الفِتيان في المحيط المدرسيّ والمجتمعيّ. إنّ تجريب الإبداع وإنتاج الأسطوانات والأفلام يمكّنهم من التعبير عن رسائل وأفكار من خلال اللغة المرئية السينمائية.

المستوى 5 المبادرة النشاطيّة في التعليم والتعلّم

عند نهاية سنوات التعليم الثلاث يُنتج الطلّاب أفلام مشاريع تخرّج للتوجيهيّ [البـچـروت]. إنتاج أفلام مشاريع التخرّج لفروع السينما هو ذو طابع مبادراتيّ نشاطيّ، سواء أكان ذلك في مستوى التنفيذ أم في مستوى المضمون. بُغية النجاح في إنتاج فيلم هناك حاجة إلى تعاون طاقم الإنتاج، حيث إنّ لكلّ طالبة وطالب دورًا مهمًّا – مخرج\ة، منتج\ة، معدّ\ة، ومصوّر\ة. وتُعطى العلامة، غالبًا، للطاقم كلّه، ولذلك يُدرك كلّ واحد مسؤوليّته في الإنتاج، وأنّ له مكانًا متساويًا بين متساوين. إنّ إنتاج فيلم مشروع تخرّج يستدعي خروج الطلّاب خارج حدود الصفّ وإجراء لقاءات يبادرون إليها مع شخصيّات من المجتمع وجهات مختلفة. وفي مستوى المضمون، يصبح الطالبات والطلّاب أصحاب السيطرة على الرسائل التي هم معنيّون بنقلها من خلال اللغة المرئية. إنّ هذه العملية تستدعي التفكير بمستوًى عالٍ، البحث عن معرفة مهْنية، والتحقيق الفعليّ لكلّ المهارات التي تعلّموها في العملية التربوية. إنّهم مطالَبون بتقديم ملفّ إنتاج وتعليل اختياراتهم، وبضمن ذلك تحليل الطرق المختلفة الخاصّة باللغة المرئية واعتبارات الإعداد التي اختاروها من أجل التأثير على المشاهدين. في الحالات التي تكون فيها الرسائل مزعزِعة

[3] تعميمات المفتّش مركّز الموضوع، التفتيش على تعليم السينما، الشعبة أ. فنون، السكرتاريا الـپيداچوچية، ورزارة التربية والتعليم (تظهر في https://cms.education.gov.il/ أو في موقع مستقلّ للتفتيش على تعليم السينما https://pikuahblog.wordpress.com/).

ومشجّعة على التغيير الاجتماعيّ بالإمكان حتّى أن نقول إنّ الطلّاب يتعلّمون أن يصبحوا نشاطيّين. ليس كلّ فيلم يُنتَج في فرع السينما هو فيلم نشاطيّ دوره التشجيع على التغيير الاجتماعيّ، إلّا أنّ الكثير من أفلام مشاريع التخرّج لفروع السينما تتناول النشاطيّة فعلًا. نقطة انطلاق السيناريوهات تصل – في كثير من المرّات – من أمكنة الفظائع الاجتماعية التي يشعر بها الطلّاب، وإنّهم يستخدمون الفيلم كوسيلة لإيقاظ الوعي أو لتشجيع إحداث تغيير في هذا الموضوع. لذلك هذه هي ذروة العملية التربوية التي ينقلها معلّمو ومعلّمات السينما على مرّ السنين، من خلال التأكيد على التربية النقدية الإنسانية.

* * *